التقرير اليومي

٢٠٠٧/٨/٢٤

مختارات من الصحف ومراكز الدراسات الدولية

حماس ومعركة غزة

بقلم بروس ريدل، مشارك كبير في مركز صبان لسياسة الشرق الأوسط؛ ٢٠٠٧/٨/١٦

كان إنتصار حماس السريع في معركة غزة، حزيران ٢٠٠٧، هزيمة مذهلة وصاعقة للمصالح الأميركية في الشرق الأوسط. إذ سيطرت حماس، المنظمة التي كانت الولايات المتّحدة قد نبذتها لمدة ٢٠ عاماً، على ١,٤ مليون فلسطيني في أقل من أسبوع، مذلة بذلك ليس فقط فتح المدعومة أميركياً ، وإنما أيضاً التحالف الذي أنشأته الولايات المتّحدة المؤلف من إسرائيل، مصر والأردن، حيث أنّ هذه الدول كانت تدرب وتجهز فتح لإلحاق الهزيمة بحماس.

وكان إنتصار حماس مخططاً ومنفذاً جيداً، وهذا واضح. إذ وفق حسابات قادة حماس،كان التخطيط للإستيلاء على غزة قد أخذ طريقه قبل أشهر. وإنّ بعض التحضيرات والإستعدادات، بالتأكيد، مثل حفر نفق بطول ٢٢٠ متراً تحت مركز قيادة فتح في خان يونس لتفجيره، لا بد وأنه إستلزم وقتاً مهماً لإنجازه. أما حماس، فقد دعمت، وبحذر، ترسانتها لتشمل أسلحة جديدة، مثل سلاح المورتر، للتميز أثناء المعركة. وإستخدمت حماس تكتيكات كانت قد طورتها ضد جيش الدفاع الإسرائيلي لكي تهزم عدوتها العربية بالسرعة والدقة اللازمتين. وليس من شك بأنّ ما ساعدها بذلك هو الإختراق المتقدم والهام لأجهزة فتح الأمنية الفاسدة.

فعلى الأقل قفز بعض المقاتلين في حماس عندما سنحت لهم الفرصة لإذلال فتح، وخاصة محمود دحلان، الذين كانوا يعتبرون أفرادها متعاونين مع الإسرائيليين، ومشابهين لجيش لبنان الجنوبي القديم. فجهاز حماس الأمني لم يكن، مطلقاً، متحمساً جداً لإتفاق مكة الذي تم في شهر شباط وسرعان ما إحتجوا بالقول بأنّ فتح، إسرائيل وأميركا كانوا يعملون على تخريب نتائجه. وقال قادة حماس العسكريين بأنهم كانوا متفاجئين من سهولة إنتصارهم؛ لكن أولئك الذين وقفوا ضد إتفاقية مكة منذ البداية كانوا متشوقين للتغلب على فتح.

ومع ذلك، فقد كانت حماس مستفزة عمداً إستراتيجياً وتكتيكياً، وبشكل مرسوم ومدروس. فالولايات المتّحدة وإسرائيل لم تخفيا شكوكهما حول الإتفاق السعودي، كما لم تكن جهودهما المبذولة لتدريب وتجهيز السلطة الفلسطينية وفتح لسحق حماس سراً. وكان كيث

دايتون، الجنرال الأميركي، يحاول بوضوح إنشاء قوة ما تكون قادرة على تجاوز حماس بمساعدة من مصر والأردن وبموافقة ضمنية من إسرائيل.

أما الحلفاء، فقد أساؤوا تقدير حماس، ولم يكن ذلك أول مرة. فمحاولة قتل إمام أكبر مسجد في غزة وفّر الشرارة المباشرة والفورية لمعركة كانت منتظرة منذ زمن. كما دُفعت حماس للعمل أيضاً من قِبَل فريقين خارجيَيْن، على الأقل. فإيران رأت في إتفاق مكة حقيقته الذي كان عليها: محاولة سعودية محسوبة لإحتواء النفوذ الإيراني في الحركة الفلسطينية، ومن ثم قلبه بالعكس. فالنشاطات السياسية الفلسطينية كانت هي أرض المعركة السياسية المركزية في الأنشطة السياسية العربية المتبادلة لعقود، ولم يكن ليُسمح بأن تسقط هذه السياسة لتصبح خاضعة للنفوذ الشيعي. وكانت فيالق الحرس الثوري الإيراني ووزارة الأمن والإستخبارات الإيرانية، الى جانب شركائهم في حزب الله، يدربون ضباط حماس الأساسيين لسنوات ولديهم كل الأسباب الموجبة لتشجيعهم على إعاقة إتفاق مكة الذي رعاه الملك عبد الله، والذي يمثل خطراً على مصالحهم. ومن المرجح أن يكون الحرس الثوري الإيراني ووزارة الأمن والإستخبارات الإيرانية قد ساعدا بالتخطيط العسكري، وقد يكونا وسعا من حضورهم في غزة منذ شهر حزيران.

كما كانت القاعدة قد أعربت، وبقوة، عن معارضتها لإتفاق مكة وإستخدمت موقعها في قلب الحركة الجهادية السنية العالمية لتشجيع حماس على رفضه وإنكاره، كما شجعتها على قتل دحلان بالتحديد. وفي آذار الماضي، كان أيمن الظواهري، الإيديولوجي الأساسي في القاعدة، قاسياً في إدانته لإتفاق حماس مع فتح في مكة. وقال الظواهري بأن قيادة حماس السياسية قد "باعت" نفسها للحكم الملكي السعودي: "أنا آسف... أنقل للأمة الإسلامية تعازيَّ لموت قيادة حماس العملي، حيث أنها سقطت في مستنقع الإستسلام". وكرر في شهر أيار هذه الإتهامات.

أما حماس، فقد ردت بالقول: "نحن حركة جهادية ومقاومة. ونحن في حركة حماس لا نزال أوفياء لمواقفنا ونؤكد للدكتور الظواهري ولكل أولئك الذين لا يزالون ثابتين وغير متزعزعين في علاقتهم مع فلسطين بأنّ حماس اليوم هي نفسها حماس التي عرفتموها منذ تأسيسها". وبعد الإنقلاب (غزة)، كان الظواهري سريعاً في الإشارة الى دعمه لها وفي حث كل المسلمين على المساعدة بالدفاع عن غزة، حيث كان لا يزال يكرر هواجسه من التوجهات "المتعاونة" لقيادة حماس السياسية.

إذن، فإنّ هناك خليطاً متهوراً من الأشخاص المثيرين للفتنة والقلاقل في حماس المتشوقون للحرب. وقد خلقت الرغبة الأميركية والإسرائيلي،ة التي بالكاد تكون مخفية، بقلب نتائج إنتخابات ٢٠٠٦، وكذلك الضغط المفروض من قِبَل المراكز الجهادية العالمية الشيعية والسنية خليطاً متفجراً في حزيران الماضي.

وأخيراً، كان هناك عدم كفاءة في قيادة فتح، بالطبع. أما الى أي مدى يمكن إحتساب كل عامل على حدة، فهذا أمر من المستحيل معرفته؛ فتوحيد العوامل هو ما يهم. أما السؤال الآن، فهو التالي: هل ستكون حماس قادرة على إستغلال وضعها كصوت فلسطين "الحقيقي" لتقويض فتح "الخائنة" في الضفة الغربية، حيث تعتبر فتح أكثر إعتماداً حتى على الدعم الأميركي والإسرائيلي، وخاصة على بندقية جيش الدفاع الإسرائيلي للبقاء؟

حماس وفتح والوضع السياسي الفلسطيني الحالي

بقلم داني روبنشتاين (مراسل الشؤون العربية والفلسطينية لصحيفة هآريتز)؛ Bicom؛ ٢٠٠٧/٨/٢١

قبل بضعة أيام كنت جزءاً من إجتماع عُقد في رام الله لعدد من الصحافيين الإسرائيليين مع وزير الإعلام الفلسطيني الدكتور رياض المالكي، الذي يعمل أيضاً كناطق بإسم الحكومة برئاسة سلام فياض. وبدا الوزير المالكي واثقاً عندما أعلن قائلاً: "حكم حماس في غزة سوف ينتهي قريباً، وأقرب بكثير مما تعتقدون". وكان هناك تصريح مشابه سُمِعَ مؤخراً من نبيل عمر، كبير مستشاري السلطة الفلسطينية في رام الله. فهل بدأ حكم حماس في غزة ينحل حقاً؟ وكيف سينهار؟ وأليس هذا مجرد رغبة داخلية؟

إنّ النزاع بين السلطة الفلسطينية، بظل رئاسة محمود عباس (أبو مازن)، الذي يحكم الضفة الغربية، وحكومة حماس التي تسيطر على غزة، هو في أشد حالات الإحتدام. إنه ليس صراعاً عسكرياً، فبالكاد هناك تبادل لإطلاق النار بين الجانبين، سواء في غزة أم في الضفة الغربية، لكن من الواضح أيضاً بأنّ هناك نزاعاً عنيفاً بعمق. فالناطقين بإسم السلطة الفلسطينية وحماس يتهمون بعضهما البعض كأعداء بتنفيذ عمليات إعتقال يومية، صدامات وحتى القتل. وإنّ عدداً من هذه التقارير منبعها ناشطي فتح في الضفة الغربية، الذين يتهمون قوات حماس في غزة بأعمال وحشية ضد ناشطي فتح في غزة. وإذا ما تناولنا التقارير الواردة منذ منتصف آب، نجد بأنّ الوحدات العملانية لحكومة عباس (التي ينسب إليها صفة "الميليشيات" في الضفة الغربية للتشديد على أن ليس هناك من أساس قانوني لعمليات حماس)، قامت بالتالي: إطلاق النار على ناشطي فتح في خان يونس ورفح وقتلهم؛ قتل ٣ من ناشطي الجهاد الإسلامي و٢ من الشبان في مخيم جباليا شمال غزة؛ إطلاق النار ومهاجمة مدعوين الى حفلة زفاف لعائلة موالية لفتح في بيت حانون؛ خطف مدير كبير في المستشفى المركزي في غزة وإطلاق صاروخ قسام موجه نحو إسرائيل أدى الى مقتل طفلين في شمال غزة. ويتهم الناطقون في الضفة الغربية ناشطي حماس في غزة بالنهب والتدمير المستمرَيْن، وبأن ناشطي حماس يطالبون العائلات الثرية في غزة بالأموال بأسلوب التهديد والوعيد، ويأخذون مالاً للحماية مدّعين بأنّ هذه ضرائب كان الأغنياء يتجنبون دفعها، وبأنهم يقومون بعزل الأشخاص المرتبطين بفتح من وظائفهم في الوزارات الحكومية.

إنّ أي شخص كان يتابع التقارير الفلسطينية على مدى السنوات بإمكانه أن يشهد بأنّ النموذج الذي كان كبار الشخصيات في السلطة الفلسطينية وفي فتح في رام الله قد تبنوه ضد أخصامهم في حماس، هو أقسى وأشد من أي شيء إستخدم في أي وقت من الأوقات ضد المحتل الإسرائيلي. فهم يدعونهم بالمجرمين والقتلة والخائنين الذين آذوا الشعب الفلسطيني أكثر من أي عدو خارجي. "إنّ حماس تنشر الأكاذيب والعبارات السامة"، قال الوزير المالكي للمجتمعين في رام الله. وأعلن بأنّ حكومته طلبت من المصريين منع حماس من إستخدام محطة الأقمار الصناعية (التي قدمتها القاهرة لمحطة تلفزيون في غزة)، وبذلك لن تتمكن من الإستمرار بإشاعة الأكاذيب والسموم.

أما الأمر المثير في كل ذلك، فهو أنّ الناطقين بإسم حماس لا يقولون الكثير رداً على هذه الإتهامات، فهم يعترفون من وقت لآخر بأنّ الوحدات العملانية لحكومة حماس متورطة في عمليات تبادل إطلاق نار في غزة، ولكنهم يفسرونها دوماً على أنها محاولة لفرض القانون والنظام. فقبل بضعة أيام، على سبيل المثال، وفي ١٤ آب، حارب رجال شرطة حماس عصابة دغموش المعروفة جيداً في منطقة صبرا في قطاع غزة. وهذه العصابة هي التي كانت تحتجز الصحافي البريطاني آلان جونستون، وقُتل في المعركة إثنين من رجال حماس.

ويتهم الناطقون بإسم حماس القوى الأمنية في الضفة الغربية بمواصلة القيام بعمليات إعتقال للأشخاص المنتسبين لحماس على إمتداد كامل الضفة الغربية. إلا أنّ إتهاماتهم تكون بلغة معتدلة بالمقارنة مع تلك المستخدمة في الماضي من قِبَل الناطقين بإسم حماس للتنديد، بشدة، بقيادة فتح.

إنّ النزاع بين الجانبين هو الآن نزاع إعلامي– سياسي. فكلاهما يعلم بأنّ ليس لديهما خيار آخر. فأبو مازن والناس من حوله يدركون جيداً بأنّ ليس بإمكانهم تخطيط وتنفيذ إنقلاب مضاد في غزة، فليس لديهم شيء في غزة– لا ناس، لا سلاح، ولا دعم شعبي. أما قيادة حماس، فتعلم بأنّ ليس بإمكانها إحكام سيطرتها على الضفة الغربية بالقوة، كما فعلت في غزة.

وإزاء هذه الخلفية، فإنّ إستراتيجية أبو مازن وتلك التي لحكومة سلام فياض واضحة: فهم يقومون بكل جهد ممكن لإظهار أنّ الحياة في الضفة الغربية تتحسن. فالمال موجود، ويتم دفع الرواتب؛ الخدمات العامة تعمل بشكل صحيح؛ العملية السياسية بدأت تظهر تقدماً، ومعها سياسة مخففة وملطفة من قِبَل إسرائيل؛ يتم رفع الحواجز عن الطرقات، كما تم إطلاق سراح السجناء. وبالمقارنة مع ذلك، تتدهور الحياة في غزة بظل حكم حماس يومياً. فالإقتصاد والخدمات متعثران، إذ لا يوجد أموال، وبالتالي فإن حكم حماس مفروض بالقمع، العنف وبالقسوة والوحشية.

ويشرح أبو مازن والناس من حوله، بأنّ إستراتيجيتهم هي لفت الإنتباه الى وضع حيث الناس في غزة قد إكتفوا من حماس. "إنّ الهدف هو فصل الجماهير في غزة عن حكومة حماس"، بحسب إحدى العناوين الرئيسة في الصحف الفلسطينية. وبمعنى آخر، سوف تصبح حياة السكان في غزة لا تطاق. فمع عدم وجود الأموال والخدمات، ووجودهم على حافة المجاعة، فإنّ هؤلاء السكان سيثورون ويفرضون الضغوط على قادة حماس للإستسلام والموافقة على شروط أبو مازن. أما الشروط المعروفة جيداً التي وصفها أبو مازن لحماس، فهي أولاً إعادة الوضع في غزة لما كان عليه سابقاً. وهذا يعني العودة الى ما قبل "الإنقلاب الدموي" وإنتزاع حماس للسلطة. ثانياً، يُتوقع من قادة حماس الإعتذار من الشعب الفلسطيني عما فعلوه. وبعد ذلك، سيكون من الممكن المضي نحو إنتخابات ديمقراطية للسلطة الفلسطينية.

وهنا نأتي الى السؤال الأكثر أهمية وإثارة: هل هناك من أية فرصة لنجاح هذه الخطة؟ هل ستجد حماس نفسها وسط صعوبات كهذه، والتي ستشعل شرارة العداوات والخلافات الداخلية التي ستجبرها على الخضوع؟

في الوقت الحاضر، ليس هناك من إشارات تدل على ذلك. فما نراه في هذه الأثناء هو موقف إجماعي بالكامل لقادة حماس، سواء لأولئك الموجودين في الخارج بقيادة خالد مشعل أم لأولئك الذين في غزة بقيادة إسماعيل هنية. إذ يتبنى جميعهم، تقريباً، لهجة هادئة ومعتدلة. وقد إعترف خالد مشعل قبل اسابيع قليلة بـــ "بعض الأخطاء" التي قامت بها حماس عند إستلامها السلطة، بحسب وصفه. حتى أنه إعتذر عن الأخطاء، لكن ذلك الإعتذار لم يكن موجهاً لأي شخص بذاته، وإنما لله فقط. وبعد إعتذاره في تموز الماضي، دعا مشعل الشعب الفلسطيني للوحدة بظل قيادة الرئيس أبو مازن. وكرر جميع قادة حماس، تقريباً، ذلك الموقف وبلهجات مختلفة، وقالوا بأنهم يقبلون بشرعية السلطة الفلسطينية وشرعية رئيسها محمود عباس. ودعوا المرة تلو الأخرى الى إجراء حوار مع السلطة الفلسطينية وفتح، كما دعوا لإجراء تسوية وتنازلات متبادلة للتوصل الى إتفاق والى وحدة وطنية. ولكن حماس، منذ بداياتها، لم تتحدث مطلقاً بلهجة تصالحية ومعتدلة كهذه وكتلك التي عبرت عنها قيادتها الحالية. فلماذا يقومون بذلك؟

بعد نجاحهم في غزة، تُعتبر سياسة حماس بالمحافظة على النفس واضحة. فقادة حماس يريدون الإحتفاظ بمكاسبهم. فأقصى ما يهتمون له هو إثبات أنفسهم، فكل يوم يمر في حكمهم لغزة يُعتبر إنجازاً، حيث أنّ العالم يراقبهم. ويبدو بأنهم نجحوا بما يتعلق بقضية توفير الأمان الشخصي في غزة. فالوحدات العملانية لحماس تسيطر على الشوارع. كما إختفت فوضى حرب العصابات في غزة. ودعت حكومة إسماعيل هنية صحافيين أجانب للتجول في غزة، وخرجوا بإنطباع مؤثر بسبب ما شاهدوه من هدوء ونظام.

إلا أنّ هناك إستثناءات، هنا وهناك. إحداها يُدعى أحمد المصري، قائد كتائب عز الدين القسام، الجناح العسكري لحماس. إذ يبدو بأنّ لديه القوة والنفوذ، في الحقل العسكري بالتأكيد. ويبدو من المحتمل تماماً أنّ المصري غير مستعد لأخذ أوامره من أي شخص. فجماعته تحتجز الجندي الإسرائيلي المخطوف، جلعاد شاليط، وهو الذي يقوم بتصويب المورتر وإطلاق الصواريخ من وقت لآخر بإتجاه الأهداف الإسرائيلية.

وقد قيل لنا، في الماضي، بأنّ لقيادة حماس منهجان– المنهج المعتدل مع أشخاص مثل إسماعيل هنية ومعظم أعضاء حكومته، و منهج المتطرفين بقيادة خالد مشعل وموضع ثقته في غزة، الدكتور محمود الزهار. وتقول إشاعة فلسطينية بأنّ أحمد المصري لن يصغِ الى كلمة واحدة يقولها هنية، وإنما هو مستعد للإصغاء الى مشعل الذي يستخدمه لإضعاف هنية والداعمين له.

أما هذه الإشاعات، فلا أساس جوهري لها. فما يتخطى هذا السؤال هو أنه، في هذه المرحلة، هناك وحدة كاملة عبر قيادة حماس، على الأقل في الظاهر. هذه الوحدة هي نتيجة واضحة لنجاح الإستيلاء على غزة والحاجة للدفاع عن أنفسهم ضد الهجمات والضغوط الآتية من جميع الجهات. فحماس في غزة تقاتل الجميع تقريباً: إسرائيل، الولايات المتّحدة، الأوروبيين، الأنظمة العربية وأبو مازن. وعندما يكون العالم كله ضد حماس، عندها ستصطف صفوف قيادة الحركة في غزة والخارج، تدافع عن نفسها، تحاول التسوية، وتبرهن عن هدوئها وإعتدالها– وأكثر من ذلك كله، ستحاول إظهار نفسها موحدة في معركتها للبقاء. ولا أحد يعلم كم سيطول هذا الأمر. أسابيع؟ أم قد يطول أشهراً وربما عاماً أو أكثر؟ وربما كان وزير الإعلام رياض المالكي محقاً عندما قال بأنّ حكومة حماس في غزة ستسقط قريباً وبأقرب مما نعتقد.

Research Services Group
www.ipileb.com